الصاعقة الخامسة والعشرون: لكل امرئٍ من دهره ما تعودا(*)

لكلِّ امـرئٍ منْ دهرِه مـا تعـوَّدَا ... وعادَةُ سيفِ الدولةِ الطَّعنُ في العدى

وأن يُكذِبَ الإرجـافَ عنهُ بضـدّه ... ويمسي بما تنوي أعـاديه أسـعَدَا(١)

ورُبّ مـريدٍ ضـرّهُ ضـرَّ نفـسَـهُ ... وهادٍ إليه الجيشَ أهدى وما هدَى(٢)

ومـستكبـرٍ لم يعـرفِ اللهَ سـاعَـةً ... رأى سـيـفَـه في كـفّـه فـتَـشَـهّـدَا

هو البحرُ غصْ فيه إذا كانَ ساكنًا ... على الدّرّ واحـذرهُ إذا كـان مُـزبِدَا

فـإني رأيتُ البـحـرَ يعـثُـرُ بالفـتى ... وهذا الذي يأتي الفتى مُـتَـعَـمِّـدَا(٣)

تظلُّ ملوكُ الأرضِ خـاشـعَـةً لهُ ... تفـارقُـهُ هلكى وتلقـاهُ سُـجّـدَا

وتُحـيي له المالُ الصـوارمُ والقَنَا ... ويقـتلُ مـا يُحْيِي التبـسّمُ والجَـدَا(٤)

ذكيٌّ تظنّيـه طليـعـةُ عـيـنِه ... يرى قلبُـهُ في يومِه مـا ترى غَـدَا(٥)

وَصـولٌ إلى المستـصـعـبـاتِ بخـيلِه ... فلو كـانَ قرنُ الشمسِ ماءً لأوردَا(٦)

لذلك سـمى ابنُ الدُّمَـسـتُقِ يومَـهُ ... مماتًا وسـمّـاه الدمـسـتقُ مـولِدَا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة، ويهنئه بعيد الأضحى سنة ٣٤٢هـ.

(١) الإرجاف: الإكثار من الأخبار الكاذبة.

(٢) أهدى: بعث وأتحف.

(٣) يعثر بالفتى: يهلكه.

(٤) الجدا: العطاء.

(٥) التظني: الظن.

(٦) قرن الشمس: ما يظهر منها عند طلوعها.

سريتَ إلى جيحانَ منْ أرضِ آمدٍ ... ثلاثًا، لقد أدناكَ ركضٌ وأبعَدَا[١]

فولّى وأعطاكَ ابنَهُ وجُيُوشَهُ ... جميعًا ولم يُعطِ الجميعَ ليُحمَدَا

عرضتَ له دونَ الحياةِ وطرفِهِ ... وأبصرَ سيفَ اللهِ منك مُجرَّدَا

وما طلبتْ زُرقُ الأسنةِ غَيرَهُ ... ولكنّ قسطنطينَ كانَ له الفِدَى[٢]

فأصبحَ يجتابُ المسوحَ مَخافَةً ... وقد كانَ يجتابُ الدِّلاص المُسرَّدَا[٣]

ويمشي به العكَّازُ في الديرِ تائبًا ... وما كان يرضى مشيَ أشقرَ أجرَدَا

وما تابَ حتى غادرَ الكَرُّ وجهَهُ ... جريحًا وخلّى جفنَهُ النقعُ أرمَدَا

فلوْ كانَ ينجي منْ عليّ ترهُّبٌ ... ترهَّبتِ الأملاكُ مثنى وموحَدَا

وكلُّ امرئٍ في الشرقِ والغربِ بعدَها ... يعدّ لهُ ثوبًا منَ الشَّعْرِ أسوَدَا

هنيئًا لكَ العيدُ الذي أنتَ عيدُهُ ... وعيدٌ لمنْ سمّى وضحّى وعَيّدَا

ولا زالتِ الأعيادُ لُبسكَ بَعدَهُ ... تسلِّمُ مخروقًا وتعطى مجدَّدَا

فذا اليومُ في الأيَّامِ مثلكَ في الورَى ... كما كنتَ فيهمْ أوحدًا كانَ أوحَدَا

هو الجدّ حتى تفضلَ العينُ أختَهَا ... وحتى يكونُ اليومُ لليوم سَيّدَا[٤]

فيا عجبًا من دائلٍ أنتَ سَيفُهُ ... أما يتوقى شفرتَيْ ما تَقَلّدَا[٥]

---

(١) جيحان: اسم نهر. آمد: بلد.

(٢) قسطنطين: ابن الدمستق.

(٣) يجتاب يلبس. المسوح: ثياب الشعر. الدلاص: الدرع اللينة. المسرد: المنسوج.

(٤) الجد: الحظ.

(٥) الدائل: ذو الدولة.

ومن يجعل الضِّرغامَ للصيدِ بازَهُ تصيَّدَهُ الضرغامُ فيما تَصَيّدَا
رأيتكَ محضَ الحلمِ في محضِ قدرةٍ ولو شئتَ كانَ الحِلمُ منكَ المُهنّدَا
وما قتلَ الأحرارَ كالعفوِ عنهُمُ ومنْ لكَ بالحرّ الذي يحفظُ اليدَا
إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدَا
ووضعُ الندى في موضعِ السيف بالعلى مضرٌّ كوضعِ السيفِ في موضعِ النّدى[1]
ولكن تفوق الناس رأيًا وحِكمةً كما فقْتَهم حالًا ونفسًا ومحتِدًا
يدقُّ على الأفكارِ ما أنتَ فاعلٌ فيتركُ ما يخفى ويؤخذُ ما بَدَا
أزلْ حسدَ الحسّاد عني بكَبْتِهمْ فأنتَ الذي صيّرتَهُمْ لي حُسّدا
إذا شدَّ زندي حسنُ رأيكَ فيهمُ ضربتُ بسيفٍ يقطعُ الهام مُغمَدا
وما أنا إلا سَمهَرِيٌّ حَمَلتَهُ فزيَّنَ معروضًا وراعَ مُسَدَّدا[2]
وما الدهرُ إلا منْ رواةِ قصائدي إذا قلتُ شعرًا أصبحَ الدهرُ مُنشِدَا
فسارَ به منْ لا يسيرُ مُشَمّرًا وغنَّى به منْ لا يغني مَغَرِّدَا
أجزني إذا أُنشدتَ شعرًا فإنما بشعري أتاكَ المادحونَ مُردَّدَا
ودعْ كلَّ صوتٍ غيرَ صوتي فإنّني أنا الطائرُ المحكيُّ والآخرُ الصّدَى
تركتُ السُّرى خلفي لمنْ قلَّ مالُهُ وأنعلتُ أفراسي بنعماكَ عَسجدَا[3]

---

(١) الندى الأولى: الجود. الثانية: المطر الخفيف.
(٢) السمهري: الرمح الصلب. المعروض: المحمول بالعرض. المسدَّد: الموجه.
(٣) السرى: المشي ليلاً. العسجد: الذهب.

وقـيـدتُ نفـسي في ذراكَ مَـحَـبَّـةً ومنْ وجـدَ الإحسـانَ قـيـداً تَقَـيّـدَا[١]

إذا سـألَ الإنسـانُ أيامـه الغِنى وكنتَ على بُعـدٍ جَـعَلنَكَ مـوعِـدَا

(١) الذرى: فناء الدار ونواحيها.

obeikandl.com